



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN - NAHAR
Date : 18-10-92
Photo No. : 43

حركة بلا بركة

"ديبلوماسية ميتران او غلبة المظاهر". مرة اخرى تصدق العبارة التي اطلقها قبل سنوات احد المعديبلوماسيين الفرنسيين، غرييل روبان، وجعلها عنوانا لكتاب لاذع حول السياسة الخارجية الذي بدأ الحكم الاشتراكي ينتهجها منذ عام 1981. فقلبة المظاهر هي تحديدا ما يميز التحرك الفرنسي الاخير الذي جاء بوزير الخارجية رولان دوما الى عواصم الشرق الاوسط: في الظاهر تنشيط ديبلوماسي وتأكيد لاهمية "الدور الفرنسي"، وفي العمق انصياع لسياسة صيغت وتصاغ خارج باريس، بل توكيد للتراجع الحاصل منذ اشهر عن الشوايت التقليدية للديبلوماسية الفرنسية ازاء الصراع العربي - الاسرائيلي.

لقد بنت فرنسا موقفا من الحل السلمي في الشرق الاوسط، بعد الانقلاب الذي احدثه الجنرال ديفول في علاقاتها باسرائيل والدب، على مبدأ اساسي هو انسحاب اسرائيل الكامل من الاراضي العربية المحتلة عام 1967، وإن ظلت حريصة على تأمين الحدود الآمنة للدولة الصهيونية. وتوطدت هذه السياسة في عهد الرئيس جورج بومبيدو عندما بدأت فرنسا تأخذ في الاعتبار الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني. وكان بومبيدو سابقا بين قادة الغرب الى الاعتراف باستحالة شطب الواقع الوطني الفلسطيني. وتطورت "العقيدة الفلسطينية" للديبلوماسية الفرنسية في أيام الرئيس جيسكار ديستان، وصولا الى الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني بتقرير مصيره. كما أكدت فرنسا موقفا من ضرورة عقد سلام شامل من خلال رفضها كمب ديفيد، واستطاعت جر سائر اعضاء المجموعة الأوروبية الى هذه القناعة في بيان قمة البندقية الشهيرة (حزيران 1980).

لم يتغير الموقف الفرنسي الرسمي، في خطوطه الصريحة، مع مضي الرئيس ميتران. وبقيت فرنسا على دعمها لحق تقرير المصير. وذهب ميتران شخصيا الى الاقرار بحق الفلسطينيين في بناء دولتهم المستقلة، مع الابقاء على مقدار كبير من الابهام حول

شروط قيام تلك الدولة. الا انه حدث تبدل اولويات في الخطاب الفرنسي افضى الى قطع التواصل مع السياسة السابقة، فصار التشديد على امن اسرائيل اكثر منه على مبدأ الانسحاب. وألمح ميتران اكثر من مرة الى ضرورة احداث تغييرات في الحدود. ومن جهة اخرى، ابدى الحكم الاشتراكي تحفظات كثيرة حول الصفة التمثيلية لمنظمة التحرير الفلسطينية.

صحيح ان عهد ميتران كان غنيا بالمبادرات الرمزية تجاه الفلسطينيين وان العلاقات الثنائية توطدت. وان باريس ايدت باكرا فكرة المؤتمر الدولي. لكن الاهم من كل ذلك انها كانت دوما تقلص حيز تحركها حيال الولايات المتحدة، متخفية ضمنا عن امكان لعب دور مستقل، سواء بمفردها او على المستوى الاوروبي. وما ان جاءت حرب الخليج حتى صار التحلي علنيا. ثم اثبتت قضية احتجاز الدكتور جورج حبش ان الاتكال الفلسطيني على باريس لم يعد في محله. وفي المجال الديبلوماسي، تخلفت فرنسا، بعد افتتاح مؤتمر مدريد، عن التعبير عن مواقفها التقليدية في ما يخص المؤتمر الدولي وشمولية الحل وحق تقرير المصير. وتعاملت مع عملية التسوية كأنها غير معنية بها.

وعليه وجب التساؤل: ماذا دعا رولان دوما للقيام بتحركه! لا شك ان الجواب يكمن اولا في رغبة ميتران القديمة في لعب دور الوسيط بين اسرائيل والعرب، بعيدا عن أي موقف مبدئي. وفي الحقيقة ان وصول حزب العجل الى الحكم سهل الامر عليه، نظرا للعلاقة التي تشده الى وزير الخارجية الاسرائيلي شمعون بيريز. ثم جاءت استقالة عراب التسوية جيمس بايكر من وزارة الخارجية الاميركية لتخلي الساحة وتتيح المجال امام من اراد نفسه عرابا ثانويا.

يعني ذلك ان النشاط الفرنسي يستمد شرعيته من الخط الاميركي ويلبي رغبة اسرائيلية. فالسعي الى عقد قمة بين الرئيس حافظ الاسد واسحق رابين لا يندرج عليس الاطلاق في سياق البحث عن حل شامل، الذي كانت تقول به فرنسا. فائدته الوحيدة انه يوهم العرب ان فرنسا استعدادت حركتهما، وان تكن بلا بركة.

سمير قصير